كلية التربية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم
إدارة: البحوث والنشر العلمي (المجلة العلمية)
=======

علاقة الإعراب بالمعنى

دراسة تطبيقية على بعض آيات من الذكر الحكيم

إعـداد

د/ محمد بن شتيوي الجهني

الأستاذ المساعد بقسم الإعداد اللغوي

الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

﴿ المجلد الثالث والثلاثين– العدد الخامس – يوليو ٢٠١٧م ﴾

http://www.aun.edu.eg/faculty_education/arabic

المقدمة

الحمد لله ثم الحمد لله ثم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

لا شك أن العرب قد جعلوا الإعراب أساسا مهما في التوجيه المعنوي للنص وبيان الأسرار التي توحي لها الكلمة ذات التقلبات الإعرابية.

وأساس ظاهرة الإعراب في العربية، وجود علاقات نحوية ومعنوية بين الألفاظ، والهيئة والعلة والاستفهام والتعجب والاهتمام والتنبيه والرغبة في التمكين، أو التشويق، أو التخصيص، ونجد الإعراب خاضعا لمؤثر لفظي له علاقة بالتركيب وهذا البحث يسلط الضوء على علاقة المعنى بالحركات الإعرابية فبتغيرها يتغير المعنى.

ولقد اتفق علماء العربية إلا من شذ منهم على أهمية لإعراب، وأن لعلاماته دلالات معينة، وأغراضا معنوية، أبرزهم: الخليل، وسيبويه، وابن فارس، وابن جني ، والمبرد، وابن السراج، والسيوطي، وتبعهم كثير.

(ولقد عبروا عن هذه الظاهرة بأساليب متنوعة تنطق جميعا بحقيقة واحدة .ولعل أوفى خلاصة لتلك الآراء قول ابن فارس :"فأما الاعراب فبه تميز المعاني ويوقف على اغراض المتكلمين .وذلك ان قائلا أو قال "ما احسن زيد "أو" ما احسن زيد "أو" ما احسن زيد "أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده ") ينظر: الصاحبي ص١٦١

وأحببت أن أدخل في أعماق هذا الموضوع و أدلي بدلوي لعلي أسقى بعذب سلسبيل وأسأل ربي أن يوفقني وينفع بما كتبت.

فهذا البحث يتكون من مقدمة ويسلط الضوء على معاني الإعراب اللغوية والاصلاحية وعلاقة الإعراب بالمعنى، ثم الدراسة التطبيقية على آيات من القرآن الكريم وأخيرا خاتمة هذا البحث.

الإعراب

هو أحد خصائص العربية وسمة بارزة من سماتها تناوله علماء اللغة قديما وحديثا مستعرضين جوانبه المختلفة.

ويُعد من أبرز الظواهر في العربية وله معنيان لغوي :

وهو مصدر الفعل الرباعي أعرب، وأهم معنى له هو البيان والإفصاح والإيضاح ((الإعراب وهو الإبانة يقال: أعرب عنه لسانه وعرب أي أبان وأفصح)) (١)

والإعراب في الاصطلاح هو: الأثر الذي يجلبه العامل على الكلمات المعربة، وهو(الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول) (٢)

قال الزجاج: (إنّ النحويين رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعاني وتبين عنها سموها إعرابا أي بياناً، وكان البيان بها يكون كما يسمى الشيء إذا كان يشبهه، أو مجاورا له، ويسمى النحو إعراباً والإعراب نحواً سماعا، لأن الغرض طلب علم واحد) (٣).

والإعراب أقوى عناصر اللغة وأبرز خصائصها، بل سر جمالها وأضحت قوانينه هي العاصمة من الخطأ، يقول ابن قتيبة : (ولها الإعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول، لا يفرّق بينهما، إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكلّ واحد منهما– إلا بالإعراب).

(١) لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ)، دار لسان العرب، بيروت مادة (عرب)، وينظر: الإيضاح في علل النحو للزجاج (٣٣٧هـ)، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس ط٣، ١٩٧٩م:٩١.

(٢) الخصائص لابن جني، (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة، ط٢، بيروت.

(٣) الإيضاح في علل النحو:٩١.

ولو أن قائلا قال: هذا قاتل أخي بالتنوين، وقال آخر: هذا قاتل أخي بالإضافة- لدّل التنوين على أنه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنه قد قتله) [١].

صاحب الكتاب يحدد مجاري الكلم في العربية فيقول: (هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية وهي تجري على ثمانية مجار: على النصب والجر والرفع والجزم، والفتح والضم والكسر، وهذه المجاري الثمانيةُ يَجمعهنّ في اللفظ أربعةُ أضرب: فالنصبُ والفتح في اللفظ ضربٌ واحد، والجرّ والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضمّ، والجزم والوقف.

وإنّما ذكرتُ لك ثمانية مجار لأ فُرقَ بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة لما يُحِدثُ فيه العامل – وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه – وبين ما يُبْنَى عليه الحرفُ بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدثَ ذلك فيه من العوامل، التي لكلّ منها ضربٌ من اللفظ في الحرف، وذلك الحرفُ حرف الإعراب) [٢].

وعدّه ابن فهارس: (من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب الذي هو الفرق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت ولا تعجب من استفهام) [٣]

ويراه الزمخشري : (هو اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظاً أو تقديراً) [٤]، وذكر الاختلاف في الآخر إما بالحركات وإما بالحروف، وذكر أن ما لا يظهر الإعراب في لفظه قدّر في محله، وبه قال ابن عصفور وابن هشام[٥].

(١) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث، ط٢، القاهرة، ١٩٧٣م: ١.
(٢) الكتاب، لسيبويه، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخنجي، القاهرة،د. ت ١٣/١.
(٣) الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة، بيروت ١٩٦٣م: ٧٧.
(٤) الأنموذج في اللغة للزمخشري، ٨٣/١.
(٥) المقرب لابن عصفور ٤٧/١.

علاقة الإعراب بالمعنى:

إن للإعراب أثرا في تأدية المعنى ، وكشفه وإزالة اللبس والغموض، كم أن للإعراب ميزة كبيرة تتمثل في إعطاء الكلمة حرية في التركيب من حيث التقديم والتأخير دون أن تفقد الكلمة وظيفتها. وهذه الميزة تميزت بها اللغة العربية على غيرها أنها لغة معربة بينما اللغات غير المعربة تلتزم الكلمة فيها رتبة واحدة وبذلك تفقد قسطا كبيراً من المرونة التي يمكن أن يتيحها لها وجود الإعراب.

ابن الجني يرى أن الإعراب يبن عن المعاني بالألفاظ دون أن يحدث لبس حيث يقول: (هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه وشكر سعيدًا أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام شرجًا(نوعا) واحدًا لاستبهم أحدهما من صاحبه) [١].

ويقول الأنباري: (الإعراب إنما دخل الكلام في أصل المعنى) [٢] لأن استيضاح المعنى ودلالة الجملة عليه لا تتم إلاّ عن طريقه، وإذا كان علم الدلالة قد أصبح علما مستقلا له خواصه وأسسه فإن الإعراب يبقى الأساس الأول له، لأنّ ((الحركة الإعرابية – في حالات– لها دور لا يقل في أهميته عن دور أي حرف من حروف الكلمة في الوصول إلى المعنى الدلالي للجملة) [٣].

إنّ الإعراب وسيلة من وسائل إظهار المعنى وإيضاحه، يراد بها الإفصاح عما يقصد إليه المتكلم، وقد يفهم منه أنه مظهر من مظاهر الدّقة في البيان؛ لأنّ تركيب الألفاظ في حد ذاته يكون في أكثر اللغات دلالة كافية على المعنى، وإيضاحاً مغنياً لمضمون الكلام وقصد المتكلم.

(١) الخصائص لابن جني ٣٦/١-٥٣، تحقيق: هنداوي دار الكتب- بيروت .

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين للأنباري، إحياء التراث ص٢٠.

(٣) نحو اللغة وتراكيبها: خليل عمايرة ص١٦٠.

قال أبو بكر الزبيدي: (ولم تزل العرب تنطق على سجيَّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها؛ حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجًا، وأقبلوا إليه أرسالًا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة والعربية، واستبان منه في الإعراب الذي هو حَلْيها، والموضِّح لمعانيها) [١]

وجاء عن الزجاجي قوله:(إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني وتكون فاعلة ومفعولة ومضافاً إليها، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني، جُعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني) [٢]،فكان الإعراب رمزاً صوتياً يؤدي إلى غاية معنوية يريدها ويبغيها المتكلم، ويركن إليه في التعبير عن أغراض في الكلام ما كان لها أن تظهر لولاه، وهذا الأمر بيّنه إبراهيم مصطفى بقوله: (وجب أن ندرس علامات الإعراب على أنها دوال على معاني، وأن نبحث في ثنايا الكلام عمّا تشير إليه كل علامة منها) [٣].

ثلاث حالات هي الرفع والنصب والجر التي تعبّر عن هذه المعاني وذلك ((إن الإعراب عبارة عن معنى يحصل بالحركات أو الحروف ... ثم أنهم لما وجدوا هذه الحركات قد أتت دالة على معان وصار اختلافها علما لاختلاف المعاني كالفاعلية والمفعولية، والإضافة جعلوا لها في هذا الحد أسماء مفردة... فالرفع إذاً اسم الضمة المختصة بحال معلومة ودلالة مخصوصة ، وكذا (النصب) و(الجر) اسمان للفتحة والكسرة الدالتين على المعنيين المخصوصين) [٤].

فالأصل في الإعراب أن يكون للإبانة عن المعاني، فإنه إذا كانت الجملة غفلا من الإعراب احتملت معاني عدّة، فإن أعربت تعين معناها ((يدلك على ذلك إنك لو قلت: ما أحسن زيدا لكنت متعجباً، ولو قلت ما أحسنُ زيد، لكنت مستفهماً عن أي شيء منه حسن، فلو لم تعرب في هذه المواضع لالتبس

(١) طبقات النحويين واللغويين: للزبيدي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، مصر ١٩٧٣م: ١١.

(٢) الإيضاح في علل النحو:٦٩.

(٣) إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٩م: ٤٩.

(٤) المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القادر الجرجاني(٤٧١هـ) تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد –بغداد– ١٩٨٢م ١٠١/١-١٠٢.

الدراسة التطبيقية:

في قوله تعالى: ((اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)) [سورة: الفاتحة، الآية: ٦ – ٧]. أعربت (غير) بدلا من (الذين أنعمت عليهم) على معنى أن المنعم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله".

فقد ربط ربطا قويا بين الإيمان والعمل، فجاء جمعه بين الإيمان والعمل في تخريجه النحوي على البدل المطابق محققا الربط بين نعمة الإيمان كاعتقاد إسلامي ونعمة الإسلام كأفعال إسلامية.

قوله تعالى: ((وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ(٢١٤)) [سورة: البقرة، الآية: ٢١٤] قرئت (حتى يقول) بالرفع والنصب، (فالنصب على إضمار– أن – لأن (حتى) إذا دخلت على الفعل المستقبل وانتصب الفعل بعدها كان لها معنيان:

أحدهما: إلى أن

والثاني: بمعنى كي.

فالأول قولك: سرت حتى ادخلها، أي: إلى أن أدخلها، فالسير والدخول قد وقعا معاً.

ومثال الثاني: أطع الله حتى يدخلك الجنة، أي: كي يدخلك الجنة، والآية من الضرب الأول.

والرفع قراءة نافع والمعنى الماضي، وكان ما قبل – حتى – سببا لما بعدها ، كقولك: سرت حتى أدخلها، حتى دخلتها، فالسير سبب الدخول، وكذلك في الآية: الزلزلة سبب لقول الرسول صلى الله عليه وسلم[١]. قيل في نصب كلمة (تقاة) في **قوله تعالى** : ((إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً(٢٨)) [سورة: آل عمران، الآية: ٢٨] ثلاثة أوجه مبنية على تفسيره:

فإن كانت بمعنى الاتقاء فهي مصدر كقوله تعالى: ((أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا(١٧)) [سورة: نوح، الآية: ١٧] وإن كان بمعنى المفعول أي: أمرا يجب اتقاؤه فهي نصب على المفعول به. وإن كانت جمعا ككرام ورماة، فهي نصب على الحال.

(١) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات: للباقولي ٢٧٦/١–٢٧٧.

وفي قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(٧٤)) [سورة: الأنعام، الآية:٧٤] (آزر) منصوبة لأنه معمولة اتخذ أصناما على تقدير يا أبتي اتخذ آزر أصناما آلهة.

فذكر ابن كثير – رحمه الله – أنه قول بعيد في اللغة لأن ما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله لأنه له الصدارة في الكلام، وقال لأن آزر تقرأ بالفتح لأنه علم أعجمي لا ينصرف وهو بدل من قوله لأبيه أو عطف بيان[١]

وفي قوله تعالى:((هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(٢) الَّذِينَ(٣)) [سورة: البقرة، الآية: ٢– ٣] قيل يجوز أن يكون (الذين) تابعا ومقطوعا إلى النصب بإضمار أعني أو أمدح وإلى الرفع بإضمار هو واما أن يكون منقطعا عما قبله مرفوعا على ابتداء وخبره أولئك على هدى[٢]

وقد خُطئ الزمخشري في **قوله تعالى:**((مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣))[سورة: الناس، الآية: ٢ – ٣] انهما عطف بيان والصحيح أنهما نعتان لاشتراط الاشتقاق في النعت والجمود في عطف البيان[٣].

قوله تعالى: ((وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ(٤)) [سورة: المسد، الآية: ٤]

لفظ حمالة قرئ بالرفع والنصب مع الإضافة[٤] ووردت قراءة عن عياض بالنصب مع التنوين(حمالةً للحطب) فتفسيرها على قراءة الرفع أن الله تعالى أخبر عن امرأة أبي لهب بهذا الوصف وهو حمل الحطب الذي فسر على الحقيقة بحمل حزم الحطب والشوك الذي كانت ترميه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المجاز بالمشي بالنميمة ورمي الفتن بين الناس.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٣/٣.
(٢) جامع الجوامع، للطبري ٦٤/١.
(٣) الاتقان ٢٢٨/٢.
(٤) الموضح في وجوه القراءات وعللها ١٤٠٩/٣–١٤١٠.

وتفسيرها على قراءة النصب بغير تنوين أن هذه المرأة مذمومة بهذه الصفة التي اشتهرت بها، فهي لا للإخبار عن صفتها وإنما ذكرت لشتمها وذمها، قال القرطبي: (كأنها اشتهرت بذلك فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص) [١]

ومع التنوين تكون حالا والمراد بها الاستقبال" لأنه ورد في التفسير أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب هو حقيقة" [٢].

قوله تعالى: ((قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا(٤٨)) [غافر:٤٨] قرئ (كل) بالرفع والنصب وحملت قراءة الرفع على الخبر بجعل (كل فيها) جملة خبرية–إن–أو بدلا منه لأنه ضمير المتكلم يجوز إبدال الاسم الظاهر منه إذا كان دالاً على الإحاطة والشمول، ويبدو لي أن العموم في قراءة الرفع أوضح منه في قراءة النصب[٣].

في قوله تعالى:((أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا(١٢)) [الكهف :١٢] قيل في (أحصى) أنه فعل تفضيل والمنصوب تمييز وهو باطل لأن الأمد ليس محصياً بل محصىً وشرط التمييز المنصوب بعد (افعل) كونه فاعلا في المعنى، والصواب أنه فعل وأمدا مفعول به مثل ((وأحصى كل شيء عدداً))[الجن٢٨][٤]

لو قرئت((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ(٢٨))[فاطر: ٢٨] أي: برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء لفسد المعنى تماماً وأدى إلى خلل في العقيدة إذ كيف يخشى الله القوي العزيز الجبار عباده الضعاف الأذلاء؟ فالضبط الصحيح نصب لفظ الجلالة بالفتح على أنه مفعول به مقدم، ورفع العلماء بالضم على أنه فاعل مؤخر ويكون المعنى الصحيح أن أشد العباد خشيةً لله تعالى هم العلماء العاملون حقاً [٥].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٢٤٠.
(٢) الدر المصون ٦/٥٨٦.
(٣) الكشاف للزمخشري ٤/١٧٥، وفتح القدير للشوكاني ٤/٧٠٥–٧٠٦.
(٤) الاتقان ٢/٢٠٢.
(٥) انظر: البحر المحيط بالتفسير لأبي حيان الأندلسي ٩/٣١.

قوله تعالى:((أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ(٣)) [التوبة: ٣] لو قرئت ورسوله بكسر اللام أي بعطف رسوله على المشركين لفسد المعنى تماما، فيكون المعنى الفاسد أن الله بريء من المشركين وبريء من رسوله كذلك.

وسبب ذلك الفساد هو الضبط غير الصحيح ولكن الضبط الصحيح هو : ورسولُه" بضم اللام على ابتداء بعد الاستئناف فيكون المعنى الصحيح " أن الله بريء من المشركين ورسولُه بريء من المشركين كذلك"[(١)].

قال تعالى: ((وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ(١٣٢))[البقرة: ١٣٢]

فالعطف هنا يوقع القارئ في حيرة لا ينقذه منها إلاّ الإعراب فهو لا يدري أيعقوب معطوف على إبراهيم؟ فيكون المعنى ووصى بها يعقوب بنيه أسوة بإبراهيم أم معطوف على بنيه فيكون المعنى ووصى بها إبراهيم بنيه ووصى بها يعقوب في جملة بنيه أيضا.

قال تعالى: ((يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا(٢٧)) [الأنعام: ٢٧]

فقرئ فلا نكذبُ بالرفع على معنى ياليتنا نرد وياليتنا لا نكذب، وقرئ ولا نكذبَ بالنصب على المعنى ليتنا يكون لنا عود إلى الحياة يصاحبه التصديق والإيمان.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ(٦))[المائدة : ٦] ورد في الآية قراءتان لقوله (وأرجلكم) قراءة بجر اللام وقراءة أخرى بنصبها. فاحتج بقراءة الجر (أرجلكم) بأنها معطوفة على قوله (رؤوسكم) المجرورة بالباء فيكون المسح على الرجلين كالمسح على الرأس.

واحتج لقراءة النصب (أرجلكم) بأنها معطوفة على (وجوهكم) المنصوبة ب(اغسلوا) فيكون الواجب الغسل كالوجه.

(١) البحر المحيط٥/٣٦٧.

احتجاج الفريقين:

قراءة الجر في (أرجلكم) تقتضي العطف على ((رؤوسكم)) فأصبح الواجب المسح على الأرجل.

قراءة النصب أقوى ثبوتا وهي تقتضي العطف على (وجوهكم) فأصبح الواجب غسل الأرجل، أما قراءة الجر فيمكن أن يكون الجر فيها عطفا على الجوار، فجرت الأرجل لمجاورتها الرؤوس في اللفظ[١] وقد ورد عن العرب إعطاء الشيء حكم الشيء إذا جاوره **كقوله تعالى:** ((يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ(٢٢)) [الواقعة :١٧– ٢٢] فقد قرئت (الحور) بالجر لفظا لمجاورتها – كأس– مع أنها معطوفة في المعنى على– (ولدان) لأن المعنى أن الحور يطفن على أهل الجنة الخاصين بهن، وليس معناه أن الولدان يطوفون بهن[٢]

إن الجر على المجاورة يكون مع أمن اللبس، ولا يؤمن اللبس هنا؛ إذ يمكن أن تكون معطوفة على الرؤوس[٣]

ليس في الآية ما يدعو إلى اللبس لوجود – إلى– الدالة على الغاية في قوله (إلى الكعبين) لأن المسح لم يحدد بخلاف الغسل ، قال الزمخشري: (فجيء بالغاية إماطة لظن من يظن أنها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة) [٤] ويجوز أن تكون الواو في قراءة الجر بمعنى – مع– وهذا يقوي كون الأرجل ممسوحة لأن المعنى وامسحوا برؤوسكم مع أرجلكم [٥]

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٨٥/١، تحقيق: زهير زاهد ط١، بغداد.
(٢) مغني اللبيب، لابن هشام، ١٩٢/٢ ط الحلبي.
(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للألوسي ٢٦٠/٢.
(٤) الكشاف للزمخشري ٤٠٦/١.
(٥) روح المعاني ٢٦١/٢.

قيل إن كانت للمعية فإن ما بعدها يكون مفعولا معه، والمفعول معه مع فعل، والأرجل هنا لا يفعل معها الفعل إنما يقع عليها[١].

قيل إننا نسلم بتواتر قراءة النصب ولكنها يمكن أن تكون معطوفة على محل (رؤوسكم) لأنّ محلها النصب على أساس أن الجار والمجرور في قوة المفعول به، فحينئذٍ تكون الأرجل ممسوحة لا مغسولة.

قيل إنّ العطف على المحل جائز، ولكن العطف على اللفظ أقوى من العطف على المحل، فحيث يمكن العطف على اللفظ لا يعطف على المحل ، واذا سلمتم بقراءة النصب فإنّ عطف الأرجل على الوجوه أقوى من عطفها على محل الرؤوس فتكون الأرجل مغسولة كالوجه لا ممسوحة.

قال العكبري: (الأول – أي العطف على الوجوه – أقوى لأن العطف على اللفظ أقوى من العطف على الموضع).

أنه لو سلم بعطف الأرجل على الرؤوس لأمكن أن يراد بالمسح الغسل؛ إذ يقال لغة ((مسحت يدي بالماء إذا غسلتها، وتمسحت بالماء إذا اغتسلت)) [٢]

ويمكن الجمع بين القراءتين بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان يغسل رجليه إذا كانت ظاهرة، ويمسحها إذا كانت مغطاة بخف أو جورب قد لبسهما على طهارةً. وهو ((من العرب الخلص الذين يفهمون وجوه العطف في اللسان العربي)) [٣].

(١) أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن ص١٦١– عمان– الأردن عبد القادر اسعدي

(٢) التبيان في إعراب القرآن للعكبري، ٤٢٣/١

(٣) أثر الدلالة النحوية واللغويةص١٦٨.

قرأ الجمهور[١] (زيَّنَ) مبنيا للفاعل ونصب قتل مضافا إلى أولادهم ورفع شركاؤهم فاعلا بزيّن وإعراب هذه القراءة واضح، وقرأت فرقة[٢] (زَيَّن) مبنيّاً للمفعول قتل مرفوعا مضافا إلى أولادهم شركاؤهم مرفوعا على إضمار فعل أي زيّنه شركاؤهم هكذا فاعلاً بالمصدر أي قتل أولادهم شركاؤهم هكذا خرّجه سيبويه[٣] أو فاعلا بالمصدر أي قتل أولادهم شركاؤهم كما تقول: حُبِّب لي ركوب الفرس زيد هكذا خرّجه قطربٌ، فعلى توجيه سيبويه الشركاء مزيّنون لا قاتلون كما ذلك في القراءة الأولى، وعلى توجيه قطربٍ[٤] الشركاء القاتلون. وذلك أنهم لمّا كانوا مزيّنين القتل جُعلوا هم القاتلين وإن لم يكونوا مباشري القتل، وقرأت فرقة كذلك إلاّ أنهم خفضوا شركائهم وعلى هذا الشركاء هم الموءودون لأنهم شركاء في النسب والمواريث، أو لأنهم قسيمو أنفسهم وأبعاد منها وقرأ ابن عامر: كذلك إلاّ أنه نصب أولادهم وجر شركائهم فصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول وهي مسألة مختلف في جوازها، فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ولا يجيزون ذلك إلاّ في ضرورة الشعر، وبعض النحويين أجازها وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصّريح المحض ابن عامر الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللّحن في لسان العرب في عدّة أبيات وذلك أنّه أضاف الفعل إلى الفاعل وهو الشركاء ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول.

(١) الكشاف للزمخشري ٣٤٩/٢، وجامع البيان للقرطبي ١٣٧/١٢، والبحر المحيط ٦٥٦/٤، والدر المصون ٦٩٥/٤.

(٢) المرجع نفسه والتسهيل ١٦١.

(٣) الكتاب لسيبويه ٩٠/١-٩٢.

(٤) الاتقان في مسائل الخلاف المسألة ٦٠. والتسهيل ١٦١، الكتاب ٣٤٩/٢-٣٥٠، التحرير والتنوير ١٠٥/٨، والبحر المحيط ٦٥٧/٤-٦٥٨.

رد كثير من علماء اللغة على منكري الفصل بين المتضايفين ذكر هذه المسألة[١] الأنباري في كتابه " الإنصاف في مسائل الخلاف" ومما جاء فيه قوله :(ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف[٢] وحرف الخفض لضرورة الشعر. وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك بغيرهما....) وقد حرر ابن هشام مسألة الفصل بين المتضايفين وأثبت ما لا يدع مجالاً للشك وجود ذلك في لغة العرب في كتابه "أوضح المسالك"[٣] **قال رحمه الله:** (فصل: زعم كثير من النحويين: أنه لا يفصل بين المتضايفين إلا في الشعر؛ والحق أن مسائل الفصل سبع؛ منها ثلاث جائزة في السعة، وأربع جائزة للضرورة، أما الثلاث الجائزة في السعة فهي:

١) أن يكون المضاف مصدرا والمضاف إليه فاعله، والفاصل إماّ:

أ- مفعول المضاف كقراءة ابن عامر (وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ)(١٣٧)[الأنعام: ١٣٧] والتقدير قتل شركائِهم أولادَهم، ففصل بالمفعول بين المضاف والمضاف إليه لأن المضاف مصدر والمصدر شبيه بالفعل.

وقال الشاعر:

فسُقناهم سَوق البُغَاثَ الأجادل.

وسلك المتنبّي[٤] هذه الطريقة عندما قال يمدح طاهر بن الحسين العلوي:

حملت إليه من لساني حديقةً.... سقاها الحجى سقي الرياض السحائِبِ

والتقدير: سقي السحائب الرياض، بإضافة السقي إليها؛ ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول.

(١) انظر: البحر المحيط ٦٥٦/٤ وما بعدها

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة ٦٠.

(٣) أوضح المسالك ١٧٧/٣ وما بعدها.

(٤) ديوانه ص٩ رقم٣٩.

نكتفي بما ذكر ويمكن الرجوع إلى ذلك في أوضح المسالك[١].

وردت [الصابئون] منصوبة وهي ظاهرة الإعراب وواحدة جاءت مرفوعة بالواو

فعند **قوله تعالى:** ((إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)) [المائدة: ٦٩] فأهل العلم من أهل الاختصاص قد ذكروا في إعراب كلمة {الصابئون} وجوها إعرابية عدّة، تكشف عن عظمة القرآن وبلاغته اللا محدودة في تنويع المعاني مع تنوع الإعراب.

وهذا ضرْب من بيان القُرآن وإعجازه يُدْركه من نال حظًّا من العلم والبصيرة، وتعالَوا الآن نعرِض باختِصار لبعض هذه الوجوه:

١–أنَّ ﴿ الصابئون ﴾ هنا مبتدأ، وخبرُه محذوف تقديره "كذلك"، والنيَّة به التَّأخير عمَّا في حيِّز "إنَّ" مِن اسمِها وخبرها.

فيكون معنى الكلام على هذا الوجه: إنَّ الذين آمنوا والَّذين هادوا والنَّصارى حكمُهم كذا، والصَّابئون كذلك.

ولهذا الوجْه شاهد ذكرَه سيبويه، هو قول الشَّاعر:

وَإِلاَّ فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُمْ ♦♦♦ بُغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ

أيْ: فاعلموا أنَّا بغاة وأنتم كذلك.

فإن قيل: فما فائدةُ هذا التقديم والتَّأخير؟

فالإجابة كما قال الزمخشري: "فائدتُه التَّنبيه على أنَّ الصَّابئين يتاب عليهم إن صحَّ منهم الإيمان والعمل الصَّالح، فما الظَّنُّ بغيرهم؛ وذلك أنَّ الصَّابئين أبينُ هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدُّهم غيًّا، وما سُمّوا صابئين إلاَّ لأنَّهم صبَأوا عن الأدْيان كلها؛ أي: خرجوا [٢]

(١) ١٧٧/٣ وما بعدها

(٢) تفسير الكشاف، للزمخشري، ص٣٠٢.

فالواو هنا استِئْنافية، والعطف عطف جُمل، لا عطف مُفردات، فالجملة الاسميَّة المكوَّنة من ﴿ الصَّابئون ﴾ والخبر المحذوف – وتقديره: كذلك – معطوفة على جُملة :﴿ إنَّ الَّذين آمنوا ﴾.وبالمناسبة: هذا رأي سيبويه(١) .

٢-**وهو أن نقول:** إنَّ خبر "إنَّ" محذوف، وحذْفُ خبرِ "إنَّ" يردُ في الكلام الفصيح كثيرًا كما ذكر سيبويه في الكتاب، وقد دلَّ على الخبر ما ذُكِر بعده من قوله – عزَّ وجلَّ :- ((فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))[المائدة: ٦٩]، ويكون قوله :((وَالَّذِينَ هَادُوا))، عطفَ جملة على جملة، فيكون ﴿ الذين ﴾ مبتدأ، و﴿ الصابئون ﴾ معطوف على المبتدأ، فيكون حقُّه الرفع؛ ولذلك جاء بالواو، وهذا الوجْه رجَّحه الطَّ ابن عاشور في تفسيره(٢).

٣-أن تكون الواو هنا لعطف المفردات، و﴿ الصابئون ﴾ معطوف، ولكنَّه ليس معطوفًا على اسم "إنَّ"، ولكنَّه معطوف على موضع "إنَّ" واسمها، وهو موضع رفع للابتداء(٣) وهذا رأْي الكسائي والفرَّاء من كبار علماء النَّحو(٤).

٤ – أن تكون كلمة :﴿ الصابئون ﴾ معطوفة على الضَّمير المرفوع في "هادوا"، وبذلك تكون مرفوعة، وهذا القول منقولٌ عن الكسائي أيضًا(٥).

٥- أنَّ ﴿ الصَّابئون ﴾ منصوب، ولكنَّه جاء على لغة بلحارث بن كعب الَّذين يجعلون جمع المذكَّر السَّالم بالواو، والمثنَّى بالألف، رفعًا ونصبًا وجرًّا. (٦)

(١) انظر: إعراب القرآن وبيانه، ٢٦٩/٢.
(٢) التحرير والتنوير: ٢٦٩/٤.
(٣) وهو ما يسمَّى في النَّحو بالعطف على المحلّ، ولتقريب المعنى نعطي مثالاً: "إنَّ محمدًا قادم وأحمد"، نعتبر "إنَّ" واسمها (إن محمدًا) وكأنَّها كلمة واحدة، فلو جاءت في أوَّل الجملة فستكون في محلّ رفع مبتدأ، وما يعطف عليها – مثل كلمة أحمد – يكون مرفوعًا أيضًا؛ لأنه معطوف على محل "إنَّ" واسمها.
(٤) إعراب القرآن الكريم وبيانه: (٢ /٢٧٠)، روح المعاني (٤ /٢٩٥)
(٥) روح المعاني (٤ /٢٩٥).
(٦) مشكل إعراب القرآن، ص: ٢١١، التبيان في إعراب القرآن: ١ /٢٢٢.

٦- أنَّ "إنَّ" هنا ليستِ النَّاسخة؛ ولكنَّها بمعنى "نَعَم" الجوابيَّة، ولا يكون لها عمل حينئذٍ، فيكون ما بعدها مرفوعًا على أنَّه مبتدأ، وتكون ﴿ الصابئون ﴾ معطوفة على المبتدأ، فيكون حقُّها الرفع(١)

٧- أن يُجعل النُّون هو حرف الإعراب، وهذا القول ذكره العكْبري وقال: "أجازه بعض النحْويين، والقياس لا يدفعه"(٢).

وقد ذكر الكرماني كلاما نفيساً عن تكرّر هذه الآية في ثلاثةِ مواضع في القرآن، حيث قال: "قولُه ((إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ(٦٢))[البقرة: ٦٢] في البقرة،وفي الحج :﴿ وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى ﴾،وقال في المائدة :﴿ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى ﴾؛ لأنَّ النَّصارى مقدَّمون على الصَّابئين في الرتبة؛ لأنَّهم أهل كتاب، فقدَّمهم في "البقرة"، والصابئون مقدَّمون على النَّصارى في الزَّمان؛ لأنَّهم كانوا قبلهم فقدَّمهم في "الحجِّ"، وراعى في المائدة بين المعنيين فقدَّمهم في اللَّفظ وأخَّرهم في التَّقدير ؛ لأنَّ تقديره: والصابئون كذلك"(٣)

وتوضيح ذلك أنَّ الصَّابئين يُقدَّمون على النَّصارى من الناحية التاريخية الزمانيَّة؛ لأنَّهم كانوا قبلهم، والنَّصارى كأهل كتاب هم أفضل من الصَّابئين في مكانتِهم ورتبتهم؛ لأنَّ الصَّابئين أشدُّ كفرًا من النَّصارى؛ ولذلك فإنَّ النَّصارى يقدَّمون من هذه الناحية.

وآية البقرة راعت المكانة والرُّتبة فقدَّمت النَّصارى في الذِّكْر :((إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢)) [البقرة: ٦٢]

أمَّا سورة الحجّ، فقد راعت النَّاحية الزَّمانيَّة والتَّاريخية، فقدَّمت الصَّابئين على النَّصارى في الذِّكْر :((إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢)) [البقرة: ٦٢]

(١) روح المعاني: ٤ /٢٩٥.
(٢) التبيان في إعراب القرآن: ١ /٢٢٢.
(٣) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، للكرماني، ص: ٧٥.

وفي سورة المائدة جاء قوله تعالى :((إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))(٦٩) [المائدة: ٦٩]، فراعى النَّاحيتَين معًا: حيث قدَّم الصابئين من حيث اللفظ فذُكِروا أوَّلاً، وإن كانوا قد أُخِّروا من حيث التَّقدير؛ لأنَّه حين رُفعت (الصَّابئون) صارت مبتدأ خبرُه محذوف تقديره (كذلك)، وكأنَّه قال: إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنَّصارى حكمهم كذا، والصَّابئون كذلك، كما وضَّحْنا في الوجْه الإعرابي الأوَّل، وبذلك يكون قد راعى النَّاحية الزمانيَّة فقدَّم الصَّابئين في ذكرهم باللَّفظ، وراعى ناحية الرتبة والمكانة فأخَّرهم في تقدير المعنى.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بحمده الصالحات والصلاة والسلام على نبينا الأمين الذي نطق بلسان عربي مبين.

الإعراب هو الإبانة والإفصاح في اللغة، وهو الأثر الذي يجلبه العامل في الاصطلاح.

والحركة الإعرابية تؤدي وظيفة نحوية تدل فيه الحركة على معنى تضيفه الكلمة الى الجملة عند رفعها أو نصبها أو جرها.

الإعراب والمعنى صنوان متصلان لا يمكن فصلها، فالإعراب يعرب عن المعاني والمعاني تنبئ عن الإعراب . والقرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين وفي إعرابه وبيانه ومعانيه ودلالاته ما يشفي ويكفي في الرد على المشكين .

وعلماؤنا القدامى رحمهم الله أدركوا ذلك وقد اتضح ذلك من كلامهم الذي أوردته في ثنايا البحث. وكذلك يتضح في دراساتهم اللغوية والنحوية والشرعية.

ويظهر للباحث أن الغرض من الإعراب هو الإبانة عن المعاني ،والسعة في التعبير ، والدقة في المعنى ،وله أثر كبير في تفسير دلالة الكلمات فبي الجملة ودلالة الجمل في ثنايا الكلام ، ارتباطا وثيقا ، فلولا الإعراب لما فهمت المعاني التي تدل عليها الكلمات.